الإنسان والمال في القرآن الكريم
دراسة بلاغية اسلوبية

بدرية سعيد الوادعي

جامعة نجران

Man and money in the Koran
Stylistic rhetorical study

الملخص

تناول البحث دراسة بلاغية اسلوبية عن المال والإنسان في القرآن، ويهدف البحث إلى بيان العلاقة التي رسمتها توجيهات القرآن للإنسان فيما يتعلق بالمال، واعتمدت في البحث على المنهج الاستقرائي الجزئي الاستنباطي للإشارات البلاغية في الخطاب القرآني مع الدراسة والتحليل والربط. وكان من أهم نتائج البحث: أن حب المال شهوة مخيفة خطيرة، ليست لذة مؤقتة ولا إرادة متحكمة ولا محبة ولأهوى يزول.

وقد القرآن ربط المال بالفتنة والابتلاء والحساب والعقاب والثواب، ومن توصيات البحث التي تتعلق به دراسة التوأمة الأسلوبية بين الآيات التي ورد فيها لفظ المال والآيات التي ورد فيها الجهاد في سبيل الله بالأموال. دراسة العلاقات الدلالية بين ألفاظ الفتنة والابتلاء في الحياة الدنيا في القرآن الكريم.

Abstract

The research dealt with a stylistic rhetorical study on money and man in the Qur'an. The research aims to show the relationship drawn by the Quran directives to man in relation to money, and relied on the partial inductive deductive approach of rhetorical references in the Quranic discourse with the study, analysis and linkage.

One of the most important results of the research: that the love of money is a serious frightening lust, is not a temporary pleasure or control will not love and passion and pass away.The Qur'an has linked money to fitna, affliction, arithmetic, punishment, and reward, and is one of the research recommendations that relate to it

١. Study the stylistic twinning between the verses in which the word money was mentioned and the verses in which jihad was mentioned for the sake of Allah with money.

٢. Study semantic relations between the words of sedition and affliction in the world life in the Koran.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق المتفضل بكرائم الإنعام، وفضائل الهبات ، وواسع النوال ..والصلاة والسلام على خير منن الله وأفضاله على الورى ، الرسول المحمود المبعوث بالرحمة والهدى خلق الله العباد وركب فيهم الشهوات ، ووعد وأوعد عليها في نصوص الكتاب والسنة وحيث أن شهوة المال والفتنة به من أعظم الشهوات ، بحيث لا ينجو من الفتنة بها إلا من هذب القرآن قلبه ، وسار بها فيما أوضح الله له من مسالك الخير والتزود بها لآخرته، أو البلاغ إلى حين في أمر دنياه ومع تطاول الأزمنة، وانفتاح أنواع المال على الإنسان، وكثرة اشتغال الأذهان والأبدان في جمع المال ،والتفاخر به وتنازع الناس في مصارفه ومآرب إنفاقه ؛ أحببت الكتابة في هذا الموضوع بما يسر الله سبحانه من جمع ودراسة بلاغية اسلوبية لبعض النصوص القرآنية التي تناولت موضوع الإنسان والمال .وقد تكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث: المقدمة وفيها سبب اختيار البحث ، وخطته، والمنهج العلمي فيه. المبحث الأول : تعريف المال ، وفيه مطلبين المطلب الأول : تعريف المال لغة واصطلاحا المطلب الثاني : نظرة الإسلام للمال .المبحث الثاني : حب المال شهوة من شهوات النفس البشرية المبحث الثالث :توجيه القرآن للإنسان في فتنة المال المبحث الرابع: حب المال وحب الله ورسوله في الميزان المبحث الخامس :منهج الأنبياء في المال المبحث السادس :علاقة المال بالإهانة والتكريم عند الله والخاتمة وفيها أهم نتائج البحث مع التوصيات والمقترحات. وتحتوي الفهارس على فهرس الموضوعات، وثبت المصادر والمراجع

منهج البحث

وسأسلك فيه منهج الاستقراء الجزئي في الجمع ثم الدراسة والربط ، والتحليل والاستنباط للإشارات البلاغية والأسلوبية والمنهج الوصفي التحليلي في عرض الآيات وتناولها بالدراسة والتحليل واستنباط إشاراته البلاغية وألتزم بالقواعد والضوابط العلمية المعروفة في كتابة البحوث العلمية، كالتالي:

١- عزو الآيات القرآنية بذكر رقم الآية واسم السورة مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان في غيرهما خرجته من مظانه مع ذكر درجته والحكم عليه.

٣- توثيق نصوص العلماء وآرائهم من كتبهم مباشرة.

٤- الالتزام بعلامات الترقيم وقواعد الإملاء الحديثة.

المبحث الأول
تعريف المال

المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحاً

المال لغة: يقال : مُلت وتمولت : معناه كثر مالك .المال في الأصل ما يملك من الأعيان ، وأكثر مايطلق المال عند العرب على الإبل لأنها أكثر أموالهم .[1]

المال اصطلاحاً: قال الإمام البهوتي[2] :هو مايباح نفعه مطلقاً، واقتناؤه بلا حاجة، أي في كل الأحوال، أو يباح اقتناؤه بلا حاجة. فخرج ما لا نفع فيه كالحشرات، وما فيه نفع محرم كخمر، وما لا يباح إلا عند الاضطرار كالميتة، وما لا يباح اقتناؤه إلا لحاجة كالكلب" [3]وسمي مالاً لأن النفوس على العموم تميل إليه وإلى تملكه وتخضع في الغالب إلى من يملكه.

المطلب الثاني: نظرة الإسلام للمال

ينظر الإسلام للمال على أنه قوام الحياة، به تنتظم معايش الناس، ويتبادلون على أساسه تجاراتهم ومنتجاتهم، ويقوّمون على أساسه ما يحتاجون إليه من أعمال ومنافع.ولقد أخبر الله – تعالى – بأنه أحد الأمرين اللذين هما زينة الحياة الدنيا في قوله – تعالى﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦]وينظر الإسلام للمال على أن حبه والرغبة في اقتنائه دافع من الدوافع الفطرية التي تولد مع الإنسان وتنمو معه ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر: ٢٠]،وقال – جل شأنه ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨].فالإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة طبعيه تساير فطرته وطبيعته، وتقر خصائصه التي يتميز بها عن الكائنات الأخرى الموجودة في محيط الحياة الأرضية التي يعيشها، وكلف بالقيادة فيها .فغريزة التملك والاقتناء هي تلك الغريزة التي تدفع الإنسان إلى المال بالسعي إليه وتحصيله، وتنميته وادخاره. وإذا نحن نقرأ قول الله – تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤]، نرى أن الإسلام يقر وجود هاتين الغريزتين في الإنسان.والمال في حقيقة أمره ليس ملكاً خالصاً لمالكه، وإنما هو ملك لله، قال – تعالى :- ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣].ويد المالك يد وديعة، استودعها الله إياه، قال – تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [سورة الحديد ٧]على الإنسان أن يضعه مواضعه، وينفقه في الوجوه التي شرعها الله، فيأخذ منه ضروراته وحاجاته، ويوزع الفضل منه على من هم أحق به من الضعفاء والعجزة والمساكين.

المال فتنة واختبار

فالمال فتنة، وإنفاق المال في وجوهه المشروعة نجاح في الاختبار، إذ إن المال المودع لدى المالك فتنة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، أي اختبار وامتحان.وسيحاسب الناس عن المال من أين وكيف اكتسبوه؟ وفيم انفقوه؟ ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه.٤

المبحث الثاني
حب المال شهوة من شهوات النفس البشرية

تعريف الشهوة

الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء، والجمع شهوات واشتهيته فهو مشتهى وشيءٌ شهي مثل: لذيذ وزناً ومعنىً٥قال الإمام الواحدي عند قوله تعالى {زُيّن للناس حبُّ الشهوات}: الشَّهوة وهي تَوَقَانُ النَّفس إلى الشَّيء ٦الْفرق بَين الْمحبَّة والشهوة الشَّهْوَة توقان النَّفس وميل الطباع إِلَى المشتهى وَلَيْسَت من قبيل الْإِرَادَة والمحبة من قبيل الإرادة ونقيضها البغضة ونقيض الْحبّ البغض الشهوة تتَعَلَّق بالملاذ فَقَط والمحبة تتَعَلَّق بالملاذ وَغَيرهَا

الْفرق بَينهَا وَبَين الصداقة أَن الصَّدَاقَة قُوَّة الْمَوَدَّة مأخوذة من الشَّيْء الصدْق وَهُوَ الصلب الْقوي وَالصَّدَاقَة اتفاقة الْقُلُوب على الْمَوَدَّة، وَلِهَذَا لَا يُقَال إِن الله صديق الْمُؤمن كَمَا يُقَال إِنَّه حَبِيبه وخليله.

الْفرق بَين الشَّهْوَة واللذة أَن الشَّهْوَة توقان النَّفس إِلَى مَا يلذ وَيسر، واللذة مَا تاقت النَّفس إِلَيْهِ ونازعت إِلى نيلة فالفرق بَينهمَا ظَاهِرَة.

الْفرق بَين التمين والشهوة: أَن الشَّهْوَة لَا تتَعَلَّق إِلَّا بِمَا يلذ من المدركات بالحواس، وَالتَّمَنِّي يتَعَلَّق بِمَا يلذ وَمَا يكره مثل أَن يتَمَنَّى الْإِنْسَان أَن يَمُوت والشهوة أَيْضا لَا تتَعَلَّق بالماضي.

الْفرق بَين الْهوى والشهوة أَن الْهوى لطف مَحل الشَّيْء من النَّفس مَعَ الْمَيل اليه بِمَا لَا يَنْبَغِي وَلذَلِك غلب على الْهوى صفة الذَّم وَقد يَشْتَهِي الْإِنْسَان الطَّعَام وَلَا يهوى الطَّعَام٧

الفرق بين الإرادة والشهوة: أن الانسان قد يشتهي ما هو كاره له كالصائم يشتهي شرب الماء ويكرهه، وقد يريد الانسان مالا يشتهيه كشرب الدواء المر والحمية والحجامة وما بسبيل ذلك، وشهوة القبيح غير قبيحة وإرادة القبيح قبيحة فالفرق بينهما بين.

الفرق بين الإرادة والشهوة: قال الطبرسي[٨] :الشهوة: مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالإرادة، لأنها قد تدعو إلى الفعل من الحكمة.[٩]فالشهوة ميل جبلي غير مقدرو عليه بخلاف الإرادة. وَلِحُبِّ الْمَالِ سَبَبَانِ هما:

حُبُّ الشَّهَوَاتِ الَّتِي لَا وُصُولَ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْمَالِ مع طول الأمل

فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليه السلام "الولد مبخلة مجبنة مجهلة "[١٠]

السبب الثاني: أن يحب عين المال

فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محباً للدنانير عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة وَعَنْهُ – صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ، وَأَفْضَلُ أَمْوَالِ الدُّنْيَا الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ وَآخِرُ الْأَوَّلِ هَمٌّ وَآخِرُ الثَّانِي هُوَ النَّارُ"١١وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "إن جميع ما وضع في الآدمي إنما وضع لمصلحته، إما لاجتلاب نفع كشهوة المطعم أو لدفع ضر كالغضب" ولما كانت هذه الدوافع "ناشئة أساسًا من التكوين المادي، وهي تدفع الإنسان إلى الالتصاق بالحياة المادية الأرضية والانهماك في الأمور الحسية، فقد جاءت آيات كثيرة تصف طبيعة الإنسان من هذه الناحية وانهماكه في الحياة المادية، وإخلاده إليها"وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائدًا في المقدار حتى إنها إذا مالت، مالت بالقلب والعقل والذهن، فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النصح" ويقر ابن الجوزي بأهمية الدوافع في حياة الإنسان ولكن يرى تحقيقها بطريقة معتدلة ومتوازنة ومتكاملة، حتى يسير الإنسان مشبعا لدوافعه منضبطًا، مستغلًا لكل طاقاته لتكون أداة تعمير لا تدمير للكيان البشري وتكون الدوافع عونًا له في عمارتها بما يرضي الله تعالى. أما عندما تطغى شهوات الإنسان عليه كشهوة المال أو النكاح أو الجاه أو السلطان فهذا اختلال في باطن نفسه ١٢(...

خامسًا: أسباب الانغماس في الشهوات

إن الانغماس في الشهوات، يشتت فكر الإنسان، ويبدد طاقاته، ويقتل ملكاته، وقد أوجز ابن الجوزي أسباب الانغماس في الشهوات في أمرين:

أولهما: "أن تطاع النفس في طلب كل شيءٍ تشتهيه وذلك لا يوقف على حدٍ فيه، فيذهب الدين والدنيا ولا يُنال كل المراد. مثل أن تكون الهمة في المستحسنات أو في جمع المال أو في طلب الرياسة وما يشبه هذه الأشياء". من المعروف أن النفس البشرية جُبلت على حب الشهوات، وقد جاء المنهج التربوي الإسلامي لتهذيب هذه الشهوات والإعلاء منها، بطريقةٍ معتدلةٍ متوازنةٍ دون إفراطٍ أو تفريطٍ وفي حدود

ما أباحه الله تعالى، ولكن انحراف الإنسان عن تطبيق المنهج الصحيح في إشباع الشهوات، والإفراط والطاعة في إشباع هذه الشهوات دون قيودٍ وحدود، يضر الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].لذلك لابد من ضبط الدوافع والشهوات بالضوابط الشرعية الملائمة لفطرة الإنسان، مع الاعتدال في إشباع المباحات، والتقليل من كماليات الدنيا. أما الأمر الثاني: فهو "مخالطة الناس خصوصًا العوام، والمشي في الأسواق، فإن الطبع يتقاضى بالشهوات، وينسى الرحيل عن الدنيا، ويحب الكسل عن الطاعة والبطالة والغفلة والراحة. فيثقل على من ألف مخالطة الناس التشاغل بالعلم أو بالعبادة، ولا يزال يخالطهم حتى تهون عليه الغيبة وتضيع الساعات في غير شيء". ولقد ورد هذا المعنى في سورة آل عمران يقول – تعالى –: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾١٣تقدم الآية الكريمة نموذجا من الشهوات التي تُزَيّن للنفوس البشرية ، وهذه الشهوات تتمثل في النساء ، والبنين ، والمال ، والخيل التامة الخلق المعلمة، وحب الأنعام ، وحب الحرث بما فيه من نبات وثمار وخير ناتج عن هذا كله .ثم يشير الله سبحانه وتعالى – . إلى أن كل ما تقدم من الشهوات المحببة إلى البشر هي متاع الحياة الدنيا فقط وأيامه قليلة .وينبغي أن يفهم الناس أن ما عند الله هو خير وأبقى .أول ما يروعنا في هذه الآية الإيجاز الذى نشأ عن حذف المسند إليه في قوله:– " زين " ، وحذف المسند إليه هنا قد يكون صونا له من ذكره بلسان المتكلم، هذا على أن المزين هو الله ﷻ، لأنه هو الخالق لكل الأفعال. فالله ﷻ يصون اسمه عن الذكر في معرض الحديث عن الشهوات . وقد يكون الحذف صونا للسان من ذكره، هذا على أن الشيطان هو المُزَيّن عن طريق الوسوسة ولكثرة اقتران ذكره بذكر الشهوات ." قرأ الجمهور :– " زُيِّن " مبنيا للمفعول ، والفاعل محذوف (١٤) " " وقرأ مجاهد :– " زَيَّن " بالبناء للفاعل (١٥) " .فقراءة الجمهور تجعل نائب الفاعل محذوفا والمجال فسيح لتقديره ، فقد يكون المسند إليه المحذوف هو (الله) ، أو الشيطان كما أشير إليه ، وقد حققت هذه القراءة من الإيجاز ما لا يخفي .وقراءة مجاهد تجعل الفاعل الضمير المستتر في الفعل " زين " والفاعل ضمير عائد على (الله) في قوله :– " والله يؤيد بنصره (١٦) " ، على هذا فقراءة الفعل مبنيا للفاعل لا تسند التزيين إلا لله عز وجل وربما يتبادر إلى الذهن أن إحدى القراءتين تغنى عن الأخرى ، والحق غير هذا، لأنه لو اقتصر على قراءة (المبنى للفاعل) الدالة على أن الله هو المزين لما فهم أن الشيطان يحتمل أن يكون هو المزين أيضا ، والعكس صحيح مع قراءة (المبنى للمفعول) فالقراءتان معاً تدلان على أن التزيين قد وقع بالفعل لمحبي الشهوات، كما أنهما حققتا الإيجاز وهذا الإيجاز للمبادرة إلى المطلوب وهو : الانتقال من الإخبار بالتزيين إلى بيان الشهوات بسرعة .و " آل " في قوله :– ﴿ الناس ﴾ لاستغراق الجنس ، وهذا يشعر بأن الناس جميعا والبشر عموما يتفقون في الميل وحب هذه الأشياء وإن كانت تختلف درجاتهم في هذا الميل إلا أنهم جميعا يشتركون في هذا المبدأ ﴿ حب الشهوات﴾. وإضافة الحب إلى الشهوات في قوله :– ﴿ **حب الشهوات** ﴾ توحى بملازمة وصف الحب للشهوة كما تشعر هذه الإضافة بتحقير المضاف إليه ﴿ الشهوات ﴾ ، فهذه الشهوات وإن كان الناس جميعا يحبونها إلا أنها لا تستحق هذا الحب بهذه الطريقة المبالغ في.وعبر بقوله :– " شهوات " عن (المشتهيات) " مبالغة في كونها مشتهيات مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات .....(١٧) "و " أل " الاستغراقية في قوله :– " الشهوات " تشعر بأن الشهوات جميعا محببة ومفضلة لدى الناس ، فلا تخرج شهوة عن هذا الحكم " الحب " ولا تشذ عنه .وقدم (النساء) على (البنين) في قوله ﴿ **من النساء والبنين** ﴾ (لعراقتهن في معنى الشهوة ، وثنى بالبنين ، لأنهم من ثمرات النساء في الفتنة ، ولم يتعرض لذكر البنات ، والبنين تشملهن على سبيل التغليب(١٨))وعطف النظم الكريم " البنين " على " النساء " بالواو للدلالة على أن كلا منهما شهوة مستقلة ومغايرة للأخرى ، فالنساء شهوتهن عريقة في النفس ، وشهوة البنين ترتبط بالمحافظة على النوع وعدم انقطاعه .وجاءت كلمة " القناطير " لتصور وترسم ما عليه الناس من حبهم للمال بنهَمٍ فـ " لو كان يريد مجرد الميل إلى المال لقال :– (والأموال أو الذهب والفضة) ، ولكن "القناطير المقنطرة " تلقى ظلا خاصا وهو ظل النهم الشديد لتكريس الذهب والفضة ، ذلك أن التكديس ذاته شهوة بغض النظر عما يستطيع المال توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى (١٩) " . ووصف القناطير بأنها (مقنطرة) أحدثت المبالغة التي ابتغاها النظم الكريم فـ " من عادة العرب أن يصفوا الشيء بما يشتق منه للمبالغة ، نحو " ظل ظليل " ، وهو كثير في وزن فاعل ويرد في المفعول كما هنا (٢٠) "وعطف " الخيل المسومة " على ما قبلها بالواو إشارة إلى أنها شهوة مستقلة أيضا ، وهذا يقال في عطف " الأنعام " ، و " الحرث "

.وكلمة " مسومة " تصور لنا مدى رغبة البشر في امتلاك شئ تام الخلقة خال من العيوب ، فالميل إلى مثل هذا الشيء أكثر من غيره ، هذا على تفسير المسومة بـ " المطهمة التامة الخلق (٢١) " .وآثر النظم الكريم ترتيب الشهوات المحببة في الآية الكريمة على هذا النحو؛ وذلك " لأن الله – – تعالى – – لما صدر الآية بذكر الحب ، وكان المحبوب مختلف المراتب متفاوت الدرج ، اقتضت الحكمة الإلهية تقديم الأهم فالأهم من المحبوبات، فقدم النساء على البنين لما يظهر فيهن من قوة الشهوة ، وإيثارهن على كل محبوب ، وقدم البنين على الأموال لتمكنهم في النفوس واختلاط محبتهم بالأفئدة ، وهكذا القول في سائر المحبوبات ، فالنساء أقعد في البيوت ، والبنون أقعد في المحبة من الأموال ، والذهب أكثر تمكنا من الفضة ، والخيل أدخل في المحبة من الأنعام ، والمواشى أدخل من الحرث (٢٢) " . وعلى هذا فالآية تشمل لونا من ألوان البديع وهو ما يسمى بمراعاة النظير فقد جمعت الآية الكريمة بين أشياء متناسبة متوافقة والتناسب أتى من أن هذه الأشياء تتفق في أنها من الأشياء المحببة إلى النفوس ومتلذذ بها .وعرف المسند إليه " ذلك " باسم الإشارة ، وذلك إشارة إلى تحقير وتقليل هذا المتاع ، لأنه متاع دنيوى زائل لا يَعْدل متاع الآخرة المكنى بقوله :- ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ . وإضافة (المتاع) إلى (الحياة) في قوله :- ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ تشعر بدنو هذا المتاع ، كما تشعر هذه الإضافة بسرعة الانتهاء والفناء ، فانتهاء الحياة مع طولها يدل على انتهاء المتاع المصاحب لها في وقت من أوقاتها بطريق الأولى . وتعريف المسند إليه " الله " في قوله :- ﴿ **والله عنده حسن المآب** ﴾ بالعلمية لإدخال الروع والمهابة في نفس كل من نسى نفسه وغرق في حب الشهوات ، وتذكير له بأن المرجع إلى الله وحده .

المبحث الثالث
توجيه القرآن للإنسان في فتنة المال

ولما كان الله ﷻ يعلم أن البشر جميعا يحبون الأموال والأولاد حبا شديدا ويتعلقون بهم تعلقا تاما ، وأن هذا التعلق قد يخرجهم عن منهج الله ، ويبعدهم عن طاعته حذرهم من ذلك وأعلمهم أن الأموال والأولاد قد يكونون سببا للبلاء والفتنة .يقول – تعالى – في سورة الأنفال :- ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢٣] الأمر في قوله :- " اعلموا " جاء للتحذير والتنفير ، فالله ﷻ يريد أن يحذر البشر من التعلق الشديد بالأموال والأولاد الذى يلهيهم عن طاعة الله وذكره ، ويريد أن يقبح هذا التعلق وينفر منه ، فهو الذى يجلب لهم الشر والمعصية والبعد عن الله .و" قدم الأموال ههنا لأنه في معرض ذكر الافتتان ، ولا شك أن الافتتان بالمال أدخل من الافتتان بالأولاد ، لما فيه من تعجيل اللذة والوصول إلى كل مسرة والتمكن من البسطة والقوة ، بخلاف (آية القناطير) فإنه إنما قدم (البنين) فيها لما ذكرها في معرض الشهوة وتمكين المحبة [٢٤] " **وإضافة الأموال والأولاد** إلى ضمير المخاطبين " **كم** " تشعر بالتكثير فهذه الأموال الكثيرة الهائلة التي تفرحون بها وتتلذذون بجمعها ، إنما ظاهرها الخير وباطنها الشر ، إنما تكون سببا في الابتلاء والفتنة .كذا الأولاد الكثيرة القوية عظيمة البأس التي تفتخرون بها وتنشغلون بها عن طاعة الله ، وترتكبون من أجلها المحرمات تكون أيضا سببا في المحنة والبلاء . ويتضح القصر البديع في قوله ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ وهو من قصر الموصوف على الصفة ، وجاء هذا القصر بطريق " إنما " للتأكيد على كثرة ملازمة الأموال والأولاد للفتنة ، وهذا القصر يوحي بالخطورة الشديدة للأموال والأولاد والتعلق بهما إذ إن صاحبهما ينزل بسببهما إلى مدارك الفتنة دون أن يدرى أنه مفتون .وهذا القصر يصورهم وكأنهم لا يرجو من هذه الأولاد وتلك الأموال إلا الفتنة والشر الجسيم .ويأتي التصوير في قوله :- " فتنة " إذ أطلق المسبب " الفتنة " وأراد السبب " اللهو والانشغال " على سبيل المجاز المرسل . وبلاغة التصوير تتمثل في سرعة حصول الابتلاء والمحنة للآباء الناتجة عن التعلق الشديد والالتهاء بهما ، وكأنهم لما فكروا في أموالهم وأولادهم وبدأوا ينشغلون ويلهون بهما ، حدثت لهم الفتنة ، فلا إمهال ولا تراخى بين اللهو والانشغال وبين حصول الفتنة ، كل هذا أشعر به التعبير بالمجاز المرسل .ويتعانق تنكير المسند " فتنة " مع المجاز المرسل في الكلمة نفسها في تصوير الفتنة بأنها شئ عظيم هائل مخيف يجب أن يستتر منه الناس وأن يقوموا بالاحتياطات اللازمة للحيلولة بينهم وبينها ، وكأن الفتنة تأخذ الناس وتجذبهم بنفسها على الرغم منهم وتودى بهم إلى مزالق الشر بعد أن فعلوا أسبابها .وآثر التعبير القرآنى لفظ " فتنة " على لفظ " اختبار " وذلك (أن الفتنة أشد الاختيار وأبلغه) وأصله عَرْض الذهب على النار لتبين صلاحه من فساده ومنه قوله – تعالى – ﴿ **يوم هم على النار يفتنون** ﴾ ويكون في الخير والشر ..... قال – تعالى – :- ﴿ **لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه** ﴾ فجعل النعمة فتنة ، لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها (٢٥)) .وفصل النظم الكريم قوله :- ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ عما قبله ﴿**اعلموا**﴾ وذلك لما بينها من كمال الانقطاع بلا إيهام ، فقد اختلف القولان خبرا وإنشاء .ويأتي تعريف المسند إليه " الله " في قوله :- " وإن الله " بالعلمية وذلك ؛ لإدخال الفزع والروع في نفس كل من أثر حب المال والأولاد على حب الله والتعلق به ، ولعل ذكر لفظ الجلالة " الله " يردهم إلى صوابهم

لما يحيط بهذه اللفظة من جبروت وقوة وشدة تأثير على النفوس .كما قصد النظم الكريم من التعبير بلفظ الجلالة إدخال الهدوء والأنس والطمأنينة في نفس كل من حُرِم هذه الأولاد وتلك الأموال وإعلامهم بأن ما عند الله خير مما يفقدونه ويتمنونه : ويلاحظ تنكير المسند إليه " أجر " وذلك للتكثير مع التعظيم فالله – سبحانه و– تعالى – – عنده الأجر العظيم الذى يفوق كل أجر ، وكثير يفوق كل كثرة ، وساعد على هذا المعنى الوصف بكلمة " عظيم " .وإيثار التعبير بالجملة الاسمية في قوله :– ﴿ **وأن الله عنده أجر عظيم** ﴾ للإشعار بدوام وثبوت عظمة أجر الله ﷻ وكثرته .وجاء النص الكريم مؤكدا بأكثر من مؤكد " إن " ، واسمية الجملة مع أن المخاطبين بهذا الخبر لم يترددوا ولم يشكوا في أن الأجر والثواب العظيم عند الله إلا أنه من كثرة انشغالهم والتهائهم بأموالهم وأولادهم كأنهم غفلوا عن هذه الحقيقة ونسوها فضاعت عن بالهم ، وزالت عن خاطرهم ، فنزلوا في هذه الآية منزلة من خلا ذهنه عن هذه الحقيقة الواضحة ، فجاءهم النص مؤكدا ، وفيه من التوبيخ والإنكار عليهم ما لا يخفي .ووصل النظم الكريم جملة ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم﴾ بجملة ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ لما بينهما من التوسط بين الكمالين فقد اتفقنا في الخبرية لفظا ومعنى .وقد ورد في الآية المعنى التام ، وهو كون الأموال والأولاد فتنة ، ثم أراد أن يعلمنا تمام الكلام بالفاصلة فقال : ﴿ **وإن الله عنده أجر عظيم** ﴾ والفاصلة وإن أتت بمعنى زائد إلا أنها تممت المعنى السابق فكلمة عظيم التي أتت في نهاية الفاصلة لا يستغنى عنها ، ولا تغنى عنها كلمة " **أجر** " لأنه لو لم يقل " عظيم " لورد في الذهن وتوهم أن هذا الأجر كثير ولكن كثرته ليست الكثرة التي تفهم مع وجود كلمة عظيم وهذا ما يسمى (الإيغال). [٢٦]وتأتى آية أخرى يتضح من خلالها حب المال وأنه يمكن أن ينشغل به أحد عن تكاليف العقيدة ، والوفاء بحقها ومثال ذلك المخلفون من أعراب " غفار ومزينة وجهينة ، وأشجع وأسلم والدبل (٢٧) "فهؤلاء تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك يعتذرون ويتعللون أن أموالهم التي أعطوها كل حب واهتمام ، وأهلهم الذين أولوهم كل رعاية هم الذين شغلوهم عن الخروج للجهاد ، ويطلبون من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم ربهم ، لكن الله – سبحانه و– تعالى – – يعلم أن هذا الطلب لم يكن من قلوبهم ، وإنما هو قول بالسان فقط .**يقول – تعالى – في سورة الفتح** :– ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٢٨]وإيثار التعبير بالفعل المضارع في قوله :– ﴿ سيقول ﴾ إشارة إلى أن القول سيتم في المستقبل كما أنه يشعر بتجدد هذا القول من المنافقين في مل مرة يخرج الرسول ﷺ إلى الجهاد ولم يخرجوا معه ، وأن هذا متوقع حدوثه منهم بدليل دخول " السين " على الفعل المضارع – وهذا من أخبار الغيب الذى أطلعه الله عليها –. وقدم الجار والمجرور " لك " على الفاعل " المخلفون " في قوله :–﴿ سيقول لك المخلفون ﴾ وذلك لأن الجار والمجرور هو الأهم والأوثق بالسياق ، فالمهم هنا هو بيان مَنْ المقول له ، وهو رسول الله ﷺ حتى لا يتوهم ولا يحتمل أن المقول له غير الرسول الكريم ﷺ " وقال المخلفون " ولم يقل : (الأعراب) تحديدا للقائل منهم وهم (المخلفون) ولولا ذِكْرُ ذلك لكان القائل كل الأعراب ، وهذا غير مطابق لواقع الحال (٢٩) " .و" أل " في قوله :– ﴿ المخلفون ﴾ لام العهد الذهني ، وذلك لأنه لم يتقدم لمدخولها " المخلفون " ذكر مطلقا – لا صريحا ولا كناية – لكن رسول الله ﷺ يعلم من هم المُخَلفون لتقدم علمه ﷺ بهم حينما لم يخرجوا معه للجهاد ، و" هذه اللام صنعت إيجازا في الكلام ، وتماسكا في الفكرة ، وترابطا بين المتلقي والمتكلم (٣٠) " .وفي التعبير باسم المفعول ﴿ المخلفون ﴾ ما يوحي بهوان أمرهم وقلة قيمتهم، إذ أن الشيء المُخَلف لا يُخَلف إلا إذا كان عديم النفع والفائدة ، وكأن مَنْ خرج منهم للجهاد مع رسول الله ﷺ لمَّا علِموا عدم الخير والنفع فيهم تركوهم وجعلوهم كالأشياء المُخَلفة من القمامة وغيرها ، وبهذا نرى كيف جعلهم التعبير القرآني من المهانة والحقارة بمكان .والمجيء بحرف الجر " من " الذى هو للبيان ، يشعر بأن هناك من المسلمين من غير الأعراب قد تخلف لعذر قبله الرسول ﷺ .قرئ " شَغلتنا " بالتخفيف ، وقرئ " شغَّلتنا " بالتشديد (٣١) . فقراءة التخفيف تشعر بأن المال الذي شغلهم مالٌ عادى، وإن كان كثيراً إلا أن كثرته كثرة غير مبالغ فيها. وقراءة الفعل بالتشديد تشعر أن الأموال والأهلين كثر كثرة فائقة إذ أنهم بلغوا من هذه الكثرة مبلغاً جعلهم يلتهون عن الجهاد ولا يلتفتون إلا " المال والأهل "كما توحى هذه القراءة بنهمهم الشديد للمال وشدة إقبالهم على الدنيا وزينتها، وكثرة إعراضهم عن كل ما يكون سببا في ارتباطهم بالله ﷻ . والقراءتان معا أشارتا إلى هذه الأشياء بدون ذكرها، وأكدتا معا استحقاقهم التوبيخ والمؤاخذة على تخلفهم عن رسول الله ﷺ كما أنهما تعاونا في بيان حقيقة واحدة وهي التسرية عن رسول الله ﷺ فهؤلاء تخلفوا عن الجهاد بسبب حبهم للدنيا بما فيها من أموال وأولاد، والله يعلم ذلك منهم ، وكأنه يخفف عن رسوله الكريم ﷺ ويحد من ضيقه الذى أصابه حينما علم أنهم تخلفوا عنه ." والحاصل أن كلتا القراءتين تتعاونان في الإحاطة بمدى ما وقعوا تحته من تأثير، ومدى ما كان لديهم من رغبة، ولا شك إن في أداء لفظ واحد لكل هذه الإشارات إيجازاً لا يتأتى إلا بقراءة هذا اللفظ على هذين الوجهين ، فالقراءات بما فيها من إيجاز مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم (٣٢)". وعرف المسند إليه بالإضافة في قوله :– " أموالنا " ، " أهلونا " لأن هذه

الإضافة هي أخصر طريق لإحضار " المسند إليه " في ذهن المخاطب فلو لم تكن الإضافة لقالوا :- (شغلتنا الأموال التي حصلناها بكد وتعب والتي ظللنا ننميها ونكبرها حتى صارت كثيرة ومتنوعة ، وكثيرا ما حرصنا على بقائها)، ولكنه عبر بالإضافة فكانت أقصر الطرق إيضاحا وبيانا للمخاطب في هذا المقام. كما أن هذه الإضافة توحى بأن لهم مالاً فعلاً لأن الشخص لا يقول على المال مالى إلا إذا كان له أمًا لو عرَّفوه بـ " أل " مثلا فقالوا: (الأموال) لفهم من ذلك أن هذه الأموال أموال مطلقة ، وقد يكون لهم فيها وقد لا يكون ، ولكن حينما جاءت الأموال مضافة إلى ضميرهم أشعر هذا أن المال مالهم . " وبدأوا بذكر (الأموال) لأن بها قوام العيش ". وفصل قوله :- " شغلتنا أموالنا وأهلونا " عن قوله :- " سيقول لك ... " لأنه وقع جوابا لسؤال أثاره قوله :- " سيقولك المخلفون " وتقديره : ماذا يقول المخلفون ؟ فقيل :- " شغلتنا أموالنا وأهلونا " ، والفصل لشبه كمال الاتصال .والأمر في قوله :- " فاستغفر لنا " مراد به التوسل وإظهار الضعف والانكسار ، فهؤلاء المخلفون يتوسلون إلى رسول الله ﷺ ويرجونه بأن يطلب لهم المغفرة من الله – عز وجل – لأنهم يعلمون مدى الصلة الوثيقة بنبيه ﷺ وبين الله ﷻ ، أو مراد منه الالتماس على أنهم يعتبرون الرسول ﷺ نِدًّا لهم ومساويا لهم في المنزلة وهذا أنسب لحالهم ، إذ إنهم المنافقون الذين لا يشعرون بعلو منزلة الرسول ﷺ .ويتضح الإيجاز في قوله :- " فاستغفر لنا " إذ حذف المفعول ، والتقدير : "فاستغفر لنا تقصيرنا وتخلفنا عن الخروج معك (٣٣)" وهذا الإيجاز للمسارعة إلى المطلوب ، وهو الإخبار بأن هؤلاء منافقون ، ولم يقولوا بألسنتهم ما في قلوبهم ، والذى عبر منه بقوله :- ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ ، كما يشعر حذف المفعول بتكبر هؤلاء المنافقين وشدة عنادهم إذ أبو أن يعترفوا بتقصيرهم الذى كان يخبر به المفعول المحذوف.وفصل قوله :- ﴿ يقولون بألسنتهم ... ﴾ عما قبلها لأنها استئناف بيانى مسوق لبيان كذبهم ونفاقهم وهذا الاستئناف جواب لسؤال أثارته الجملة السابقة، والتقدير : أهذا الكلام منهم حقيقى صادق أم زائف كاذب مصطنع فقيل : يقولون... إلخ " وإيثار المضارع " يقولون " إيذانا بأنهم كانوا يلحون على الرسول ﷺ ويكرون له هذا القول تمويها ومخادعة وكأنهم معذورون حقا (٣٤)". والإضافة في قوله :- " ألسنتهم " ، " قلوبهم " لتحقير كل من المضاف والمضاف إليه ، لأن الألسنة والقلوب هي ألسنة وقلوب المخلفين عن الخروج مع رسول الله ﷺ – فهؤلاء وكل ما يتصل بهم حقير هين الشأن ووضيع المنزلة .قوله :- ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ كناية عن نفاقهم ومراءاتهم للناس وشدة كذبهم .وفصل قوله :- ﴿ قل فمن يملك لكم ... إلخ ﴾ عما قبله لما بينهما من شبه كمال الاتصال ، إذ إن ما قبله أثار سؤالا تقديره : ماذا أقول لهم ، فقيل : قل : والمراد من الاستفهام في قوله :- " فمن يملك لكم من الله شيئا " هو النفي المصحوب بالإنكار والتكذيب والتجهيل لهؤلاء المخلفين ، إذ معنى الكلام هنا : لا يوجد أحد يملك من الله شيئا ولو قلتم غير هذا لأنكر وكذبتم وجهلتم به ." والدلالة على معنى النفي بالاستفهام وراءها ما يلى :-

١ – تنبيه المخاطب ، وتحريك مشاعره ، وإثارة فكره ، ليقف على معنى النفي ، ويدرك ما يرمى إليه .

٢ – عدم مواجهة المخاطب بصريح النفي يكون أدعى له للنظر وتدبر ما يراد نفيه ، والمبادرة إلى الإجابة ، وتحقيق ما يرمى إليه النفي (٣٥)" والجواب على هذا الاستفهام يكون بـ " لا أحد " ." والذى يتولى الإجابة هو السامع ، وهذا هو المقصود منه فيصعب بعدئذ أن يتراجع ، أو ينسى ما قرره بنفسه لأنه منه صدر بعد إعمال الفكر والتأمل ..... فلا بد أن ينطقوا بأنفسهم ، ولهذا كان النفي الصريح لا يغنى أحيانا عن نفي استفهامى (٣٦)".وإيثار الفعل المضارع في التعبير " يملك " للإشعار بأن هذا الحكم (ملك الأشياء والتصرف فيها) متجدد ومستمر لله – عز وجل – مع تجدد الأزمان وتغيرها .ويتضح إيجاز الحذف في قوله : " قل فمن يملك من الله شيئا " إذ التقدير : "أى قل فمن يملك لكم دفع مراد الله شيئا ، أو مِنْ رَدِّ مراده ، ومن صرف مراده(٣٧)" وهذا الإيجاز يصور ما كان عليه الرسول ﷺ من غضب وضيق أثناء مخاطبة هؤلاء إلى درجة يلقى معها الكلام بأوجز لفظ حتى لا يطول معهم الكلام.كما يكشف هذا الإيجاز عن علم الله ﷻ الواسع فهو يعلم بما يشعر به رسوله الكريم ﷺ من ضيق وحزن من هؤلاء المخلفين ولذا أنزل لفظا موجزا على نبيه الكريم ليخاطب به هؤلاء . وقد نكرت ﴿ شيئا ﴾ لإفادة العموم والشمول للإشعار بأن الله هو المالك لكل شيء مهما كثر وقل ، كبر أو صغر ، عظم أو هان وهو – تعالى – المتصرف فيه والمتحكم في شأنه.ووصل النظم الكريم قوله :- ﴿ أراد بكم نفعا ﴾ على قوله :- ﴿ أراد بكم ضرا ﴾ لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى .وعطف بـ " أو " في هذا المقام لما يتضمنه من معنى الشك وعدم التثبت " إذ المقصود تركهم في حالة وَجَلٍ ليستكثروا من فعل الحسنات (٣٨)" وهذه هي العلة في المجيء بـ " إن " مصاحبة للفعل " أراد " بدلاً من (إذا) التي تفيد التحقق ، مما يشعر بأن إرادة الله ﷻ بالضر للناس قليلة والأكثر منها إرادته – تعالى – بالنفع لهم .وعبر بالفعل الماضى في قوله " أراد " في جانب الضر والنفع للدلالة على أن إرادته الأمرين واقعة متحققة .وحذف المسند إليه من الفعل " أراد " الأول

والثانى ، لأن المسند " أراد " لا يصح إلا لله .وقد حقق هذا الحذف : الإيجاز مع التنزه عن العبث ، إذ من المعلوم علما لا شك فيه أن الإرادة بكل معانيها لا تكون إلا لله فاقتضى النظم البليغ ألا يذكر المسند إليه تجنبا للعبث الذى يستحيل على كلام الله ﷻ.وقد طابق بين قوله :- " ضر " ' " نفع " وهذا الطباق يشعر بقدرة الله ﷻ ونفاذ أمره وحتميته إرادته ، إذ إنه يستطيع أن يصدر الفعل وضده ، مما أكد الفكرة ورسخها في الذهن .وتنكير " ضرا " ، " نفعا " للتعظيم والتكثير أى الضر عظيم الأثر في النفوس. (وقرأ حمزة والكسائى : " ضُرا " بضم الضاد ، وقرأ الباقون " ضَرا " بفتح الضاد (٣٩)) .فالقراءة الأولى بضم الضاد تعنى " الهزال وسوء الحال (٤٠)" .والقراءة الثانية بفتح الضاد وتعنى " الضَّر ضد النفع " .والمعنيان مرادان في الآية إذ يقصد النظم الكريم أن الله ﷻ قد يريد بأحد (الضر) الذى هو ضد الانتفاع ، أو الذى هو الهزال وسوء الحال ، وبهذا تكون القراءتان تعاونتا في تحقيق الإيجاز المرجو من الإعجاز البلاغى ، إذ جاء بمعنيين مختلفين للفظ واحد يختلف تشكيل أوله " حرف الضاد " فقط ، فورود لفظ " الضُّر " مضموم الضاد تارة ومفتوحها تارة أخرى أغنى أن يكون الكلام هكذا " إن أراد بكم عدم النفع أو الهزال وسوء الحال " لكن التعبير عن هذين المعنيين بلفظ واحد جعل الكلام من الفخامة بمكان .إذ التعبير عن معنيين مختلفين بلفظ واحد يعد من قمة الإعجاز ونهاية الإيجاز، حيث إن هذه الطريقة تعطى النص نبضاً وحيوية تجعله حياً مؤثراً على القلب ومحتملاً لأكثر من معنى ، مما يدل على ثراء الألفاظ القرآنية (وقدم " الضر " على " النفع " لأن الذى منعهم من الخروج مع رسول الله ﷺ هو فخامة الضر من القتل والأسر ، فالأمر كله بيد الله ، فإن أراد بأحد شرا أنزله به ، وإن أراد بأحد خيرا أصابه به ، فلا معطى لما منع ، ولا مانع لما يعطى ، فكان حريا بهم أن يصحبوا النبى الكريم عليهم غير خائفين حدوث ضرر ولا فوات خير .وقوله : ﴿ بل كان الله بما تعملون خبير ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع إرادة تربية المهابة من الله في قلوبهم (٤١). وفي المجيء بـ " بل " في قوله :- ﴿ بل كان الله بما تعملون ﴾ إبطال لعذرهم ، ويشعر هذا الحرف بأن الله ﷻ لم يقبل ذلك العذر منهم لعلمه – تعالى – بأن هذا العذر مصطنع منهم . وقدم الجار والمجرور " بما تعملون " في قوله : – ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيرا ﴾ على قوله :- " خبيرا " لأهمية الإشارة إلى هذه الأعمال أولا ، ثم يخبر بكون الله خبيرا ثانيا لأنهم يعلمون جيدا أن الله سبحانه و– تعالى – عليم خبير بكل شئ وإن كانوا يتجاهلون ذلك ويتناسونه أحيانا .كما أن هذا التقديم فيه لفت لأنظارهم إلى أعمالهم ودعوة إلى تأميلها والتفكر فيها لعلهم بعد ذلك يرجعون عن الأعمال السيئة ، ويبتعدون عنها ويقتربون من الأعمال الحسنة .وقد عاون هذا التقديم على الإشعار بالتهديد والوعيد وإحداث الروع والتخويف في نفوسهم .وفي تنكير " خبيرا " ما يوحي بالتعظيم والتهويل ، فالله ﷻ يبلغ من العلم والخبرة مبلغاً عظيماً هائلاً بحيث يتمكن من الإطلاع على أدق الأشياء وأخفاها .وعلاقة الفاصلة " بما تعملون خبيرا " بما قبلها هي علاقة التوشيح وذلك لأن الآية قد ورد بها معنى أشار إلى هذه الفاصلة وهو الذى يتضمنه قوله – تعالى –:- ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ وهذا يشعر بأن الله ﷻ عالم خبير بخبايا الأشياء جميعها حتى ما في القلب وهذا المعنى الذى ورد في النص الكريم جعلنا نعرف الفاصلة " بما تعملون خبيرا " قبل النطق بها . ثم تأتي الآية التي ينهى الله ﷻ فيها المؤمنين عن الاشتغال والالتهاء بالأموال والأولاد ، لأن من يصدر منه هذا لا يبوء إلا بالخسران ، ولا تحصل له إلا الخيبة. يقول – تعالى – في سورة ﴿ المنافقون ﴾ :- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾٤٢النداء في الآية وجه للمؤمنين من قبل الله ﷻ " يا " دون غيرها مع أن المؤمنين والمؤمنات قريبون من الله ﷻ ، والله قريب منهم وذلك للإشعار ببعد مكانتهم وعلو منزلتهم ، بتنزيل بعد المكانة منزلة بعد المسافة .كما أنه ذكر حرف النداء الذى للبعيد : ليجمع قلب الرسول ﷺ وعقله وللإشارة إلى أنه ﷺ ينادى لأمر خطير وهام) (٤٣) والمراد من النداء في الآية هو تنبيه العقل ، ولفت الذهن ، وتهيئة النفوس لما يأتي عقب النداء وهو النهي والحرص على العمل بموجبه .وعاون على تحقيق هذا الغرض ذكر أداة النداء " يا " مصحوبة بـ " أيها".لأن حرف " يا " يفيد التوكيد والتنبيه بأن الخطاب الذى يتلوه معْنِىٌ به ولفظ " أىْ " يؤتى بها وصلة لنداء ما فيه " أل " فإذا نادينا ما هو معرف بـ "أل " فلا بد من وجودها مع " يا " فيقال " يا أيها النبى ، يا أيها الذين ءامنوا " "وأىْ " اسم مبهم يحتاج إلى ما يوضحه ولذلك يأتي بعده اسم يوضح إبهامه ويكون وصفا لـ " أى " فحرف النداء داخل على " أى " ولفظ ما فيه (أل) صفة له وموضح للإبهام ، وفي التوضيح بعد الإبهام نوع من التوكيد ، وذلك لانتظار السامع مع وجود الإبهام إلى ما يكشفه ويزيل غموضه، فإذا جاء هذا بعد النداء تمكن في النفس وقر في الذهن .أما حرف (ها) الواقعة بين " أى " والوصف ، فهي بامتدادها تقوى حرف النداء " يا " وهي بهذا التركيب تزيد من النداء قوة وتوكيدا .وقد كثر هذا الأسلوب من النداء في القرآن الكريم كثرة زادت عنها في كلام العربي وتحدث عن هذه الظاهرة كثير من العلماء). والتعبير باسم الموصول في قوله :- ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ يستشعر التعظيم والفخامة ، وذلك لأن كل من آمن إيمانا صحيحا لابد أن يكون شأنه العظمة والفخامة ، وقوى

هذا المعنى المجيء بجملة الصلة جملة فعلية فعلها ماض "آمنوا" ، وذلك لما يشعر به الفعل الماضى من تحقق الوقوع .والمراد من النهي في قوله :- " لا تلهكم " التحذير من الاشتغال بما يلهي عن ذكر الله – عز وجل – ، كما يشعر هذا النهي بحب الله ﷻ للمؤمنين ورغبته القوية في وضعهم دائما على الصراط المستقيم والتقرب إليه . وفي إسناد (الإلهاء) إلى " الأموال " ، " والأولاد " مجاز عقلى لعلاقة السببية، لأن الأموال والأولاد ليست هي التي تلهي بنفسها ، وإنما هي سبب الإلهاء ، ومجئ الإسناد على سبيل المجاز العقلى " مبالغة في نهي أصحابها عن الاشتغال بسببها عن ذكر الله ، فنزَّل سبب الإلهاء منزلة اللاهي للملابسة وهو كثير في القرآن (٤٤)" ولكون " الأموال " أهم وأوثق بالسياق ، قدمه النظم القرآنى على لفظ "الأولاد " في قوله – تعالى – :- " أموالكم ولا أولادكم " .(كما أن الأموال تلهي أكثر من الأولاد ، فإن الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعى وقتا طويلا وقد ينشغل المرء بها عن أهله ، فلا يراهم إلا لماماً فقدم الأموال لذلك (٤٥)) وفي قوله :- " أموالكم ولا أولادكم " كناية عن الدنيا ، وهذه الكناية تصور مدى أهمية المال ، ومعزة الولد لكثير من البشر .وإضافة " الأموال " ، " الأولاد " إلى ضمير المخاطبين " كم " مع جمعها توحى بالكثرة والتنوع ، أى لا تلهيكم الأموال والأولاد وإن كانت كثيرة متنوعة متعددة .ويلاحظ أن النظم الكريم جاء بـ"لا" بعد حرف العطف فقال :- " لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم " ولم يقل : " أموالكم وأولادكم " ذلك أن كلاً من الأموال والأولاد داع من دواعى الإلهاء ، فالمال داع من دواعى الإلهاء وكذلك الأولاد ولو قال : " أموالكم وأولادكم " لاحتمل أن النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز ، وهو غير مراد . إذ المراد عدم الانشغال بأى واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع (٤٦))ويتضح المجاز في قوله :- ﴿ ذكر الله ﴾ إذ أطلق الجزء " الذكر " وأراد الكل " العبادة " على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية ، وهذا التصوير قد جعل الجزء كلا مما يشعر بأهمية هذا الجزء " الذكر " والحرص على ملازمته والمداومة عليه .وإضافة " الذكر " إلى لفظ الجلالة تشعر بعظمة وفخامة هذا الذكر لأنه ذكر للذات العليا ، مما يلقى الروع والذعر لمن يعمل بموجب هذا النص .وعبر النظم الكريم بالشرط " مَنْ " في قوله – تعالى – :- ﴿ ومن يفعل ﴾ وذلك للستر على من وقع منهم هذا الفعل ، وعدم افتضاح أمرهم ، فقد أخفي الشرط "مَنْ" تحته أسماء المشتغلين ، لعلهم بهذه الطريقة يرجعون ويكفون عن اشتغالهم والتهائهم بأموالهم وأولادهم ، فيعودون إلى الله ﷻ ويهتمون بعبادته وذكره .وذلك لما تشعر به " مَنْ " من معنى التعمية والإبهام .وآثر التعبير بالفعل المضارع في قوله :- " يفعل " للإشعار بأن من وقع منهم هذا الفعل قديما لم يدخلوا في الحكم " الخسران " ، وأن الذين يستحقون الخسران الذين يصدر منهم الفعل بعد سماع هذه الآية ومعرفتها ، والعلم بمضمونها . كما أن إيثار الفعل المضارع : لدلالة على تجدد واستمرار الحدث ولم يقل (ومن فعل) بالماضى ، ذلك لأن الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومى متكرر ، ولذا عبر عنه بالفعل المضارع الذى يدل على التكرار والتطاول . هذا من ناحيومن ناحية أخرى ، أنه لو قال : (ومن فعل) لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير ، إنما يقع ولو فعله مرة واحدة وهو غير مراد.. والتعريف بالإشارة (ذلك) في قوله :- ﴿ من يفعل ذلك ﴾ يوحي بحقارة هذا الفعل " الاشتغال والالتهاء بالأموال والأولاد " وحقارة من صدر منهم ، وقلة شأنهم وهوان أمرهم .وعبر النظم الكريم بقوله :- ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ ولم يقل :- (ومن تلهه تلك) (فنسب الفعل إلى الشخص ، لينال بذلك جزاءه ، ولئلا يفهم أن ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو ، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء ، فقال : (ومن يفعل ذلك) للدلالة على أن ذلك بمقدوره ، وأن هذا من فعله وكسبه . فالالتهاء ليس أمرا سلبيا ، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه (٤٧)) . ثم يأتي تعريف المسند إليه بالإشارة " أولئك " في قوله : ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ للتنبيه على أن المشار إليهم أجدر وأحق بالصفة التي أتت بعد اسم الإشارة ، وهي الخسران بسبب ما فعلوه قبل اسم الإشارة .وجاء المسند " الخاسرون " اسم فاعل مجموع للإشعار بثبوت ودوام ذلك الخسران لهم . ويتضح القصر في قوله :- ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ إذ قصر صفة الخسران على الذين يفعلون المنهي عنه ، وكأنه يلازمهم وحدهم ، ويختص بهم ولا يتعداهم إلى غيرهم .وقد أفاد هذا القصر مبالغة في اتصافهم بالخسران ، وكأن خسران غيرهم لا يعد خسراناً بالنسبة إلى خسرانهم .(واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء ههنا فإنه المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها . فإن الذى ينشغل بالمال إنما يريد الربح ، ويريد تنمية ماله، فقال له : إن هذا خسران وليس ربحا حيث باع " العظيم الباقى بالحقير الفانى".ثم أن الإتيان بضمير الفصل (هم) بين المبتدأ والخبر وتعريف (الخاسرون) بأل ، إنما يفيدان القصر والتأكيد ، أى أن هؤلاء هم الخاسرون حقا، وهم أولى من يسمون خاسرين . فإنه لم يقل : (فأولئك خاسرون) ، أو (من الخاسرين) ولو قال لأفاد أن خسارتهم قد تكون قليلة، أو قد يشاركهم فيها غيرهم بل قال (فأولئك هم الخاسرون) للدلالة على أنهم هم الخاسرون دون غيرهم، وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى .(٤٨))

المبحث الرابع
حب المال وحب الله ورسوله في الميزان

والآية التالية :تتناول حب المال وغيره من اللذائذ وحب الله ورسوله، وقد ورد فيها (استعراض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ ؛ ليضعها كلها في كفة ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى : الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة (وشيجة الدم والنسب والقرابة والزواج) والأموال والتجارة (مطمع الفطرة ورغبتها) والمساكن المريحة (متاع الحياة ولذاتها) ..... وفي الكفة الأخرى : حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله ، وما يتبعه من تعب ونصب .....وهو بعد هذا كله " الجهاد في سبيل الله " مجرد من الصيت والذكر والظهور (٤٩)) فإن رجحت كِفَّة الوشائج والأموال والسكن فيجب على من رجحت عنده الكفة انتظار العذاب،لأنهم سيدخلون في زمرة الفاسقين بفعلهم هذا .يقول – تعالى – في سورة التوبة :- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(٥٠)هذه الآية (بدئت بكلمة " قل " وهو من أساليب الأمر وتلقين الحجة ، يقذفها في وجه الخصم حتى تأخذ عليه سمعه ، وتملك عليه قلبه ، كما يدل على نوع خاص من العناية ، والاهتمام بالإرشادات التي سيقت بها (٥١) " .وفصل قوله :- " قل " عما قبله لشبه كمال الاتصال ، فقد وقع هذا القول استئنافا بيانيا لما قبله ؛ فهو جواب لسؤال أثارته الآية السابقة والتقدير : " كيف يمكن البراءة منهم بالكلية ؟ وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا ، وهلاك أموالنا ، وخراب ديارنا ، وإبقائنا ضائعين ، فبين – تعالى – أنه يجب تحمل جميع المضار الدنيوية حتى يبقى الدين سليما فقال : قل إن كان ..... إلخ (٥٢))وأوثر التعبير بـ " إن " في قوله :- " قل إن كان " بدل من " إذا " وذلك لأن المخاطب بهذه الآية مسلمون ومؤمنون فحبهم هذه الأشياء الثمانية وتفضيلها عن حب الله ورسوله والجهاد في سبيله مما يشك فيه ، ومن الأشياء التي لا يمكن الجزم بتحققها في المُسْلم ، وذلك لما جبلوا عليه من حب الله وطاعته ، وما رأوه في حب الله من أنوار ربانية وهدايات علوية ، ولا يمنع هذا أن هناك من هؤلاء من يؤثر حب هذه الأشياء الثمانية (الآباء ، والأبناء ، والإخوان ، والأزواج ، والعشيرة ، والأموال ، والتجارة ، والمساكن) على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، ولكن هؤلاء بحمد الله لا يمثلون نسبة ، وإن كانت نسبة فهي قليلة جدا لذا أثر النظم الكريم ذكر " إن " بدلا من " إذا " لما تتضمنه " إن " من الشك "وإذا" من التحقق في الوقوع ، مما يشهد بدقة التعبير القرآني . والإضافة في قوله :- " آباؤكم " ، " أبناؤكم " ، " إخوانكم " ، "أزواجكم"، " عشيرتكم " حققت الإيجاز ، لأن هذه الإضافة هي أخصر طريق لإحضار هذه الأشياء الخمس في ذهن المخاطب ، فمجئ هذه الأسماء مضافة أوجز من قولنا: الآباء الذين أنجبوكم وقاموا بتربيتكم ، والأبناء الذين أنجبتموهم وتقومون بتربيتهم، (والإخوان التي هي من حواشي النسب أو الأصدقاء والأخلاء ، والأزواج الذين تزوجتموهم ، والعشيرة التي أنتم منها وترجع أصولكم إليها).وآثر التعبير القرآني لفظ " إخوان " بدلا من لفظ " أخوة " لأن المراد هنا –والله أعلم – الأصدقاء وحواشي النسب معا ، فدل لفظ واحد على معنيين مختلفين، الأصدقاء الذى هو المعنى الذى يفيده غالبا ، وحواشي النسب .وقال الشهاب عند قوله :- ﴿ فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا (٥٣) ﴾ " الأخ إذا جمع على (إخوان) كان بمعنى المحب الصديق، وقد يكون جمعا لأخي النسب (٥٤) " . وعلى هذا فهناك فرق دقيق بين " إخوان " ، " وإخوة " (فإن اختصاص الأخ المجازي بزيادة المَدِّ بالألف يتناسب مع بعد الرابطة ، وكان هذا المد الزائد بما تستغرقه من إطالة زمن النطق يشير إلى مسافة أبعد من رابطة الإخوة ، وبقيت " الإخوة " بقلة حروفها وقصر نطقها رمزا لقرب الصلة المتمثلة في رابطة النسب (٥٥)) . (قرأ حفص :- " عشِيرَتكم " وعشيرة الرجل : أهله الأدنون، وهم الذين يعاشرونه ، وقرأ شعبة :- " عَشِيراتِكم " . ويكاد الموجهون يجمعون على أن المراد الجمع ، ولكنني أستشعر أن الجمال الصوتي أولى بالاعتبار من مجرد التعبير عن الجمع ، وإلا استخدم كلمة (عشائر) ، وقد حكى الأخفش أن العرب لا تجمع عشيرة إلا على عشائر ..... إن ذلك الجمال الصوتى يكمن في تطويل نواة المقطع الثالث هو مقطع مفتوح .....، وهذا مألوف في لغة العرب " فتحه طويلة إذا أريد التعبير عن تفخيم المعنى وتعظيمه ومن ذلك (قرابات ورجالات) ولعل مما يقوى رأينا هذا أن المقطع الثالث هو نقطة التميز الوحيدة بين القراءتين (٥٦)) .وتنكير أموال في قوله :- " وأموال اقترفتموها " توحى بالتكثير والتعظيم .والتعبير بالفعل الماضى في قوله :- " اقترفتم " للإشعار بأن الأموال المقصورة في الآية هي الأموال التي حصلت لهم بالفعل وليس الأموال التي يتوقع حصولها ، لأنهم لم يعلموا عِدَّتها وقيمتها.(وكلمة " اقترفتموها " تتكون من عشرة أحرف ، فقد نتوهم فيها الطول عند النظرة الأولى – ولكن هناك فرق بين حروف وكلمات ينسج منها البشر كلاما وأوزانا ، ويجعل الله منها قرأنا وفرقانا ، فالفرق واضح ، وهو الفرق بين الجسد الخامد والروح النابض ... فعندما نتأمل هذه

الكلمات التي يوهم ظاهرها الطول – عند النظرة الأولى . نراها على المستوى اللائق من الخفة على اللسان ، والسهولة في المخرج والعزوبة في السمع ، والبعد الكامل عن الثقل والتنافر – مع طولها الذى جاوز في بعضها عشرة أحرف والسبب في خفة كلمات القرآن تلك ، هو أنها في الصورة كلمة واحدة ولكنها في المعنى أكثر من كلمة..... وهي وإن كانت كلمة واحدة من عشرة أحرف ، فقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ، ومن نظم حركاتها ، فهي في النطق كأنها أربع كلمات إذ تنطق على أربعة مقاطع (٥٧))وتنكير تجارة في قوله :– " وتجارة تخشون كسادها " للتنوع والتفخيم ، أى التجارة ذات الأنواع الكثيرة التي بلغت من الفخامة درجة كبيرة .والتعبير بالفعل المضارع في قوله :– " تخشون " للإشارة إلى أن هذا الخوف والإشفاق من كساد هذه التجارة متجدد ومستمر .وإضافة " الكساد " إلى ضمير " التجارة " في قوله :– " تخشون كسادها " أغنت عن تفصيل متعذر وبيان متعسر ، فلو لم تكن هذه الإضافة لقيل :– والتجارة التي تخشون أن يحدث لها البوار ، ولم تستطيعوا أن تتكسبوا منها ، ويترتب على ذلك الكساد لكن حينما جاءت الإضافة أغنت عن هذا التفصيل المرغوب عنه في هذا المقام .وتنكير " مساكن " في قوله :– " ومساكن ترضونها " للتعظيم والتفخيم ، وجاء التنكير هنا مناسبا للتطلعات الإنسانية والطموح البشرى ، فالإنسان دائما لا يتمنى إلا المسكن الفخم الذى يشعر فيه برغد العيش ونعومته .وعطف النظم الكريم بين هذه الأصناف بـ " الواو " دون أى حرف عطف آخر وذلك لأن كلا من هذه الأشياء يتميز بشعور يختلف عن الآخر ولذة مستقلة عن الأخرى ، فلا يوجد بينهما ترتيب أو تعقيب حتى يكون العطف بـ " الفاء " ، ولا تراخى حتى يكون العطف بـ " ثم " ." وتقديم " البنين " على " الأموال " لحكمة طريفة ..... فمعلوم أن تصور المجاهد لفراق آبائه ، وأبنائه ، وإخوانه ، تمنعه من الخروج أكثر ما يمنعه مفارقته لماله ، فإن تصور مع هذا أن يقتل فيفارقهم فراق الدهر نفرت نفسه عن الخروج أكثر ، ولا يكاد هذا التصور يخطر له مفارقته لِمَالِه ، فكان تقديم هذا الجنس وهم – البنين – أكثر من تقديم المال .بدأ أولا في هذه الآية بذكر أصول العبد وهم – آباؤه – المتقدمون طبعا ، وشرفا ، ورتبة .ثم الفروع ، وهم – الأبناء – لأنهم يتلونهم في الرتبة ، وهم ألصق بهم من الإخوان .ثم ذكر – الإخوان – وهم حواشى النسب .ثم ذكر – الأزواج – رابعا ، لأن الزوجة أجنبية عنه ، ويمكن أن يتعوض عنها بغيرها . وأما الأخوان فلا عوضا عنهم .ثم ذكر القرابة البعيدة – وهم العشيرة ، وبنو العم .ثم ذكر الأموال بعد الأقارب سادسا ، ووصفها بكونها مقترفة – أى مكتسبة– لأن الإنسان إلى ما اكتسبه من المال أميل .ثم ذكر التجارة – سابعا – لأن محبة العبد للمال أعظم من محبته للتجارة ، فالتجارة عنده وسيلة للمال ، فتقديم (المال) على التجارة تقديم الغايات على وسائلها ، ووصف التجارة بأنها مما يخشى كسادها ، يدل على خطرها وشرفها ، وأنه قد بلغ قدرها إلى أنها مخوفة الفساد . ثم ذكر الأوطان – ثامنا – آخر المراتب ، لأن تعلق القلب بها دون تعلقه بسائر ما تقدم ، فإن الأوطان تتشابه ، وقد يقوم الوطن الثانى مقام الأول من كل وجه ، وقد يكون خيرا منه ، فمن الأوطان ما يعوض عنه ، أما الآباء والأبناء والأقارب والعشيرة ، فلا يعوض عنها بغيرها ، فالقلب وإن كان يحن إلى وطنه الأول ، فحنينه إلى آبائه وأبنائه وزوجاته أعظم ، لذلك جاءت محبة الوطن آخر المراتب – إلا لعارض – (٥٨) . وقيل في سبب تقديم (البنين) على (المال) في هذه الآية (لأن المقام مقام حب ولا شك أن المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من الأموال لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذا الدار . ثم لا تنس أنه قدم مجموع القرابات من (الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة) ولا شك أن هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال : فالأبناء وحدهم أثقل في ميزان الآباء من الأموال ، وكيف إذا اجتمع معهم ممن يحب؟(٥٩)).وإضافة الرسول إلى ضمير الله ﷻ في قوله : " ورسوله " تشعر بالتشريف والتعظيم ، وربط محبته بمحبة نبيه ﷺ ونظمها معه في سلك واحد ، وهذا يومئ إلى منزلة رسول الله ﷺ العالية ومكانته السامية . وتنكير " جهاد " للتعظيم ، أى أن هذا الجهاد يبلغ من العظمة مبلغا عظيما وأنه لا يقادر قدره ، لما يكلف صاحبه من مفارقة للأهل وبذل للنفس .والمراد من الأمر في قوله :– " فتربصوا " الوعيد والتهديد ، فالله ﷻ يتوعد من تفوق عنده حب هذه الأشياء الثمانية على حب رسوله والجهاد في سبيله بالعذاب الشديد ويهددهم به ، وذلك لما ينبغى من أن يكون عليه المسلم من إيثار حب الله ﷻ ورسوله على من سواهم .وتعريف المسند إليه بالعلمية في قوله :– ﴿ حتى يأتي الله ﴾ للإشعار بالقوة والجبروت الإلهي لما يحيط بلفظ الجلالة " الله " من هيبة وروع تدخل في النفوس عند سماعه .وقوله :– ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ كناية عن إنزاله – تعالى – العذاب الشديد والعقاب الأليم بمن آثر حب الأشياء الثمانية على حب الله ورسوله .وإضافة " أمر " إلى ضميره – تعالى – في قوله :– " بأمره " تشعر بالاختصاص(٦٠) أى حتى ينزل الله ﷻ عذابه وعقابه الخاص به والذى لا يستطيع أحد أن ينزله غيره ، وهذا يشعر بشدة العذاب الذى ينتظر هؤلاء لا لشيء إلا لأنه من قبل الله ﷻ.ويلاحظ الإظهار في مقام الإضمار في قوله :– ﴿ والله لا يهدى

القوم الفاسقين ﴾ إذ يمكن أن يكون الكلام بالإضمار فيقال :- " وهو لا يهدى القوم الفاسقين " لكنه أظهر وقال :- " والله لا يهدى ..... " لتقرير الحكم وهو(عدم هدايتهم وإنزال العذاب عليهم)

المبحث الخامس
منهج الأنبياء عليهم السلام في المال

(نبي الله نوحاً عليه السلام نموذجا)

والآية التالية تبين أهمية المال عند قوم نوح ، وحبه الدفين في قلوبهم وإن كانت الآية لم تصرح به ، إلا أن هذا يفهم من اتهاماتهم لنوح بأنه يرجو من وراء تبليغ الرسالة أموالا ، كما أن الآية تكشف عن بغض نوح عليه السلام للمال إذ ينفي أنه يسألهم عن تبليغ الرسالة مالا ، فأجره وثوابه على الله – عز وجل – ، ويخبرهم بأنه لا يحقق ما يطالبون من طرد الذين آمنوا ، وعاونوا رسوله لكن قوم نوح ﷺ يجهلون القيم الحقيقية .يقول – تعالى – في سورة هود :- ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾٦١وذكر نوح ﷺ في ندائه لقومه " يا " مع أنهم قريبون منه ، وذلك للإشعار بأن قومه وضيعو المنزلة ، ومنحطو المرتبة ، وكأنهم بعيدون عن العين والقلب . وللإشارة إلى الرغبة في إبعادهم بغضا لهم ، وتحقيرا لشأنهم وكأن نوحا ﷺ لا يطيق النظر إليهم ، بمواجهتهم بالنداء ، فنزل هذا البعد النفسي منزلة البعد المكاني فاستعمل فيه " يا " ، وهذا النداء يكشف عن نفسية نوح ﷺ وما بها من بغض وضيق لهؤلاء ، وما بذله من نصح وإرشاد كثير لهم بدون جدوى وأنه أضاع في توجيههم أوقات كثيرة بدون طائل . ويلاحظ الإيجاز في قوله:- " قوم " إذ حذف المضاف إليه ، وقد أشعر هذا الإيجاز برغبة نوح ﷺ القوية في إنهاء الحديث مع هؤلاء القوم أصحاب العقول الجامدة ، والقلوب المتحجرة الميتة ، كما يكشف هذا الإيجاز عن لهفة نوح الشديدة إلى الانتقال إلى الإخبار بما يريد ، وهو أنه لا يسأل مالا عن التبليغ ، وأنه لا يطرد المؤمنين ، وإخبارهم بأنهم قوم يجهلون . والتعبير بالمضارع في قوله :- " لا أسألكم " يوحي بتجدد وباستمرار نفي ذلك منه ﷺ فلم يسألهم في الماضي ، ولا في الحاضر ولا في المستقبل أيَّ مال مقابل تبليغه الرسالة .وقدم الجار والمجرور " عليه " على المفعول " مالا " في قوله :- ﴿ عليه مالا ﴾ لأن الجار والمجرور هو الأهم والأوثق بالسياق ، إذ إن الضمير المجرور يعبر عن تبليغ الرسالة ، فتبليغ الرسالة والحديث عنها أهم من ذكر المال في هذا المقام ، لأن المهم عند السامع أن يعرف ما الذى يسأل عليه ويطلب في مقابله شيئا .وتنكير " مالا " يشعر بالعموم فنوح ﷺ ينفي عموما أيَّ مال قليلا حقيرا أم كثيرا عظيما .وفي نفي نوح ﷺ لسؤاله إياهم المال على تبليغ الرسالة ، يشير إلى أنهم كانوا قوما يحبون المال حبا جما فأكثر ما يؤرقهم أن يسألوا مالا ويؤخذ منهم ، وهذا يوحي بفطنة نوح ﷺ ودرايته الكبيرة وخبرته الواسعة بنفوس قومه .ويأتي القصر في قوله :- ﴿ إن أجرى إلا على الله ﴾ .وقد جاء هذا القصر ليكون بمثابة البرهان والدليل على صدقه ﷺ في قوله:- ﴿ لا أسألكم عليه مالا ﴾ فقد أحدث هذا القصر تأكيد .وفصل جملة ﴿ إن أجرى إلا على الله ﴾ عن جملة ﴿ لا أسألكم عليه مالا ﴾ لأن جملة " إن أجرى إلا على الله " وقعت جوابا لسؤال أثارته الجملة الأولى، والتقدير : لماذا لا تسألنا نحن على التبليغ مالا ؟ أتسأل غيرنا ؟ فقيل إن أجرى إلا على الله ، والفصل لشبه كمال الاتصال وأوثر التعبير بلفظ (الأجر) بدل من لفظ (الجزاء والثواب) وذلك لأن "الأجر " هو الجزاء على العمل دنيويا كان أو أخرويا وهو من الله الثواب (٦٢) " كما عُرِف أيضا بأنه " العوض المأخوذ في العقد على المنافع (٦٣) " أما " الجزاء " فهو " المكافأة على الشيء إن خيرا فخير وإن شرا فشر (٦٤) " وعلى هذا فإن (الأجر) تكون المكافأة به في الآخرة فقط سواء كان على الخير أم كان على الشر .وقد ورد لفظ (الأجر) بهذه الصيغة اثنتى عشرة مرة كلها في مقام ثواب عباده الطائعين ، ومنه قوله – تعالى – :- " وءاتينه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (٦٥) " .أما لفظ " الجزاء " بهذه الصيغة فلم يرد إلا خمس مرات ، ثلاث منها في الجزاء على الخير واثنان في الجزاء على الشر . فمن الجزاء على عمل الخير قوله – تعالى – :- " وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا (٦٦) " ومن الجزاء على البشر قوله – تعالى – :- ﴿ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آيآتي ورسلى هزوا (٦٧) ﴾ لذا عبر النظم الكريم على لسان نوح ﷺ بلفظ " الأجر " دون " الجزاء " لأنه ﷺ يقصد المكافأة على الخير الذى كان يقصد من ورائه الصلاح والنجاة لقومه من معتقداتهم الخبيثة ، والمكافأة التي كان يقصدها نوح ﷺ هي المكافأة في الدنيا والأخرة ، وهذا المعنى لا ينهض به لفظ (الجزاء) الذى يعنى المكافأة على الخير أو الشر وهنا تظهر روعة النظم الكريم ودقته في استعمال ألفاظه حيث عبر في الآية الكريمة " بالأجر " دون " الجزاء " .وتقديم المسند إليه " أنا " في قوله :- ﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾ لإفادة التخصيص ، فنوح – عليه السلام – ينفي عن نفسه خصوصا أنه طارد للذين آمنوا ولا يقع منه ذلك أبدا ولكن يمكن حصوله ووقوعه من غيره . والتعبير باسم الموصول في

قوله :- ﴿ الذين آمنوا ﴾ لزيادة التقرير فالغرض المسوق له هو تبرئه نوح – عليه السلام – ، واستحالة طرد المؤمنين عليه ، والتعبير باسم الموصول أدل على هذا الغرض مما لو قال : وما أنا بطارد فلان المؤمن ..... أو الرجال والنساء المؤمنين . والتعبير بالفعل الماضى في الصلة في قوله :- " آمنوا " للإشعار بأن الإيمان قد وقع من الذين يتحدث عنهم نوح – عليه السلام – وقوعا متحققا لا مراء فيه .كما يشعر بوقوع الفعل أيضا وتحققه اهتمام نوح عليه السلام بهذه الفئة والحرص على بقائهم معه مهما كلفه ذلك من عتب سادات قومه ورؤسائهم .وقوله :- ﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾ " جواب عما لوحوا به بقولهم :- ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا(٦٨)﴾ من أنه لو اتبعه الأشراف لوافقوهم ، وأن اتباع الفقراء مانع عن ذلك ، كما صرحوا به في قولهم :- ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (٦٩) ﴾ فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لإيمانهم به عليه السلام بذلك أنفة من الانتظام معهم في سلك واحد(٧٠) ".ووصل النظم الكريم قوله :- ﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾ على قوله :- ﴿لا أسألكم عليه مالا ﴾ وذلك لما بينهما من التوسط بين الكماليين لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى والفاعل فيهما واحد .وفصل جملة ﴿ إنهم ملاقو ربهم ﴾ عن جملة ﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ لشبه كمال الاتصال ، فالجملة الثانية وقعت جوابا لسؤال أثارته الجملة الأولى والتقدير : لماذا تمتنع من طرد المؤمنين ؟ فقيل : إنهم ملاقو ربهم " والخبر من الضرب الإنكارى ولذا أكد بـ " إن " واسمية الجملة ، فالمخاطبون بهذا الخبر ﴿ إنهم ملاقو ربهم ﴾ ينكرون أن هؤلاء المعبر عنهم ﴿بالذين آمنوا ﴾ على صلة قوية بربهم .وإضافة " رب " إلى ضمير المؤمنين (ربهم) يشعر بتعظيم المضاف "رب " وفخامته فإنهم ليسوا ملاقو أى أحد ولكنهم ملاقو رب عظيم فخم الشأن وعالى المنزلة .كما يشعر بتعظيم المضاف إليه : " هم " وهم الذين اكتسبوا عظمتهم وفخامتهم وعلو شأنهم من ربهم العظيم الفخم ، وقد أحدثت هذه الإضافة بهؤلاء المؤمنين الشرف والعزة في الوقت الذى يراهم فيه قوم نوح عليه السلام ، أذلة أراذل ولا يستحقون الاهتمام . وتنكير " قوما " في قوله :- " أراكم قوما " يشعر بالتحقير والتهوين ، وأكد هذا المعنى بوصف القوم بقوله " تجهلون " .وعبر بالفعل المضارع وقال :- " تجهلون " ولم يقل :- " جهلتم " للإشعار بأن جهلهم هذا متجدد ومستمر وثابت لهم لا يفارقهم في أى مكان وأنه يلازمهم أينما ذهبوا .المدود في الآية في قوله :- " يا " ، " لا " ، " مال " ، " طارد " ، "آمنوا " ، " ملاقو " ، " أراكم " ، " تجهلون " .تصور مدى المعاناة والمكابدة المضنية والمجاهدة الشديدة أثناء تبليغ الرسالة لقومه ، وكأن هذه المدود ترسم أناته المرسلة وشعوره بخيبة الأمل تجاه قومه الذين جَمُدتْ عقولهم وتحجرت قلوبهم ، كما توحى هذه المدود بالجو الكئيب الممتلئ بشعور الضيق الذى أحاط نوحا عليه السلام .

المبحث السادس
علاقة المال بالإهانة والتكريم عند الله

والآيات التالية يرد فيها الله ﷻ على من اعتقد أن توسيع الرزق إكرام ، وتضييقه إهانة ، ويخبرهم فيها بأنهم لا ينهضون بحق العطاء ، ولا يوفون بحق المال . **يقول – تعالى – في سورة الفجر** :- ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠ ﴾[٧١] **في الآية الأولى** يبين ﷻ أنهم لا يقدمون العطاء لليتيم الذى فقد أباه ، يقول تعالى ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم ﴾(١٧) .وهذه الآية " انتقال من بيان سوء أقواله " الإنسان " إلى بيان سوء أفعاله(٧٢)كلا (أداة ردع للإنسان الذى أكرمه الله ظنا منه أن هذا لإكرام لاستحقاقه له ، وردع للإنسان الذى قتَّر عليه ربه في الرزق ليختبره هل يصبر أو يجزع ؟ والله لم يبسط الرزق لكرامة الإنسان عنده ، ولم يقتره لأهانته ، بل اختبار أو امتحان لكلا النوعين من الإنسان (٧٣)).وصُدِّرت الآية الكريمة بـ " كلا " وذلك للفت الذهن ، وتنبيه العقل ، وتهيئة الوجدان لما سيأتي ، ولبيان أنه من الأهمية بمكان.ويلاحظ الالتفات في قوله :- " تكرمون " وهو من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، إذ عبر أولا عن المعنى في الآية السابقة (٧٤) لهذه الآية بطريق الغيبة في قوله :- " ابتلاه " ، " رزقه " ثم التفت ، فعبر ثانيا بطريق الخطاب فقال : "بل لا تكرمون " ، " ولا تحضون " ، " تأكلون " ، " تحبون " وكان مقتضى السياق أن يقول :- " يكرمون " ، " يحضون " ، " يأكلون " ، " تحبون " .وهذا الالتفات يشعر بأن ما قالوه واعتقدوه من أن " توسيع الله بالرزق لبعض العباد إكرام وتقتيره الرزق على بعضهم إهانة " جرم مفظع ودلالة على سفاهتهم وتفاهتهم المطلقة .كما أن هذا الالتفات يوحي بخفة عقولهم ، وشدة نزقها ، وفيه مزيد من التوبيخ والتقريع ، وشدة التبشيع مالا يوجد في التعبير بطريقة عادية غير ملتفت فيها .ومجيء بـ " ال " في التعبير " اليتيم " يشعر بالعموم فـ (أل) هنا للجنس، أى أن جنس اليتيم " من بنى آدم الذى فقد آباه وكان غير بالغ (٧٥)" يدخل تحت هذا الحكم وهو : " عدم إكرامهم وإعطائهم والعطف عليهم " ممن شغلتهم جمع الأموال فأصبحوا لا يهتمون إلا بها حتى اليتيم الذى يجتذب كل قلب ، ويأخذ كل عطف ، مما يوحي بشدة قسوتهم ، وتحجر قلوبهم ، وكأنهم آلوا على أنفسهم ألا يشاهدون إلا هذه الأموال المجموعة

فقط ، فأصبحت شغلهم الشاغل وهمهم الأكبر ثم تأتى الآية اللاحقة لتوضح صفة جديدة قبيحة مستنكرة لهؤلاء الذين لا يهتمون إلا بالمال ، وهي أنهم لا يوصون بعضهم بعضا بالإطعام والحنو على المسكين وهذا يؤكد قسوتهم المستشفة من الآية السابقة .واضح حذف أحد تائى الفعل إذ الأصل : " تتحاضون " وقد حقق هذا الحذف تخفيفا في الكلمة ويسرا في نطقها فصارت " تحاضون "وعطف النظم الكريم هذه الآية على الآية السابقة وذلك لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى ، وتصديرهما بالنفي " لا تكرموا " ، " لا تحاضون "، كما أن فاعلهما واحد ، ولا يوجد مانع من العطف بينهما، فعطفتا لتحقق التوسط بين الكمالين . " وقرأ حمزة وعاصم والكسائى : تحَاضُّون بالتاء والألف ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر : تحَضُّون بالتاء بغير ألف ، والتاء في كل ذلك مفتوحة (٧٦)" .فقراءة الفعل بالألف تشعر بأن الحض أو الإيصاء وإن وقع منهم إلا أنه لم يقع متكررا مبالغا فيه ، إذ أن الواحد منهم كان يحض على إطعام المسكين مرة واحدة وهي ليست خالصة لوجه الله ، وإنما هي لكسب المفاخر والثناء ، فلو كانت خالصة لوجه الله ونابعة عن شعور عميق ورحمة بالضعيف لتكررت وحدثت بطريقة مبالغ فيها منهم مما يوحي بسطحية عقيدتهم ، وكثرة الغلف على قلوبهم ويجوز أن يكون الله ﷻ قد أراد أن ينفي عن هؤلاء المخاطبون بالنص الكريم في الآية شيئين : –الأول : حدوث الفعل أصلا ، والثاني : تكرار الفعل والمبالغة فيه ، وقد دل لفظ واحد بقراءتين مختلفتين على هذين الشيئين .قد حققت القراءتان الإيجاز ، إذ مجيء القراءتين أغنى أن يكون الكلام هذا: لا تحاضُّون بألا يقع الإيصاء منكم متكررا ، ولا تحضُّون بألا يقع منكم الحض أصلا.وقراءة الفعل " بألف " مرة وبدونها مرة أخرى ، قد أعطى معنيين مختلفين مما يدل على ثراء اللفظ القرآنى وغنائه بالمعانى المختلفة مما يؤكد الإيجاز الناشئ عن القراءات وذلك من أسباب الإعجاز .ويلاحظ الإيجاز في قوله :– ﴿ ولا تحضون ﴾ وقد حقق هذا الإيجاز حذف المفعول ، إذ التقدير : ولا تحضون أنفسكم ، وكما حقق الحذف الإيجاز ، فإن هذا الحذف لضيق المقام وللعلم به وقوله :– ﴿ ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ كناية عن عدم الإطعام لهؤلاء المساكين وشدة بخلهم وشحهم .ويتضح الإيجاز مرة آخرى في قوله :– ﴿ على طعام المسكين ﴾ إذ حذف المضاف ، والتقدير : " أى على بذل الطعام (٧٧)" أو إطعام طعام ، وحذف المضاف هنا لتعينه تعينا واضحا ، وإن ذكر يصبح حشوا ، وحاشى للنظم الكريم أن يكون به ذلك .وإضافة ﴿ الطعام ﴾ إلى ﴿ المسكين ﴾ لإثارة الشفقة والعطف ولترقيق القلوب القاسية .والآية توحى بضرورة التعاون والتكاتف بين أفراد المسلمين وحث الغنى على كفالة الفقير من يتامى ومساكين .ثم تأتى الآية التي يبين الله ﷻ فيها شراهتهم وجشعهم البين ، فهم لا يقسمون الميراث تقسيما عادلا كما شرعه الله ﷻ وإنما يستولون عليه ، ويأخذونه لأنفسهم.يقول - تعالى - في سورة الفجر :- ﴿ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴾ووصل قوله :– " تأكلون التراث " بما قبله " عدم الحض على إطعام المسكين " وذلك لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى ، وإن كانت الأولى لا تحاضون منفية والثانية " تأكلون " مثبته ، إلا أنهم يشتركان في أن كلا منهما تمثل صفة بشعة مستنكرة لهؤلاء. ويلاحظ التصوير في قوله :– ﴿ تأكلون ﴾ إذ شبه الاستيلاء بالأكل ، بجامع الانتفاع في كل ، ثم استعير المشبه به " الأكل " للمشبه " الاستيلاء " ثم اشتق من الأكل " تأكلون " على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل ، وهذه الاستعارة تصورهم بصورة الشره الذى لا يشعر بالشبع والامتلاء فيتضخم جسده، وينتفخ بطنه فيصبح في صورة بشعة قبيحة . " وأل " في قوله :– " التراث " للجنس أى أنهم يأتون على الميراث كله ، ولا يبقون منه شيئا ، ووجود " أل " الجنسية في التعبير يؤكد ما أوحى به التصوير في قوله : " تأكلون " من الشراهة والجشع .وفي تكرار وتأكيد " الأكل " بالمصدر في قوله :– " أكلا " ما يوحي بوقوع ذلك وتكرره منهم ، مما يوجب توبيخهم وتقريعهم " وحتى يتوهم السامع أنه أكل حقيقى وينسى أن المراد ما يصير إليه التراث من طعام وفاكهة (٧٨)" .وتنكير " أكلا " يشعر بالكثرة والتعظيم ، ووصف " الأكل " بقوله : " لمًا " لبيان نوع هذا الأكل وأنه عبارة عن جمعهم نصيب النساء والصبيان مع نصيبهم ويأكلون الكل (٧٩)" .ثم تأتى الآية التي يتضح من خلالها أن هؤلاء القوم يؤثرون المال على كل الأشياء ، وحب المال هذا لم يبق في قلوبهم أى عاطفة لإكرام الضعيف ، أو إعانة المحتاج يقول – تعالى – في سورة الفجر:– ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ووصل جملة ﴿ وتحبون المال ﴾ بجملة ﴿ وتأكلون التراث ﴾ لما بينهما من التوسط بين الكمالين وذلك لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى .و " أل " في التعبير " المال " تشعر بجشعهم إذ إن اللام هنا للجنس ، فهم يتكالبون على جمع المال ، ويتفانون في حبه وهذا ليس لبعض المال ومعظمه وإنما لكل المال وأجمعه .وأكد الفعل بالمصدر في قوله :– " حبا " للدلالة على أن هذا الحب متحقق مركوز في طباعهم ، وليبين أن هذا الحب ليس حبا عاديا وإنما هو حب مبالغ فيه، والذى أشعر بهذا تنكير الكلمة " حبا " ووصفها بقوله :– " جما " الذى يعطى معنى الكثرة البالغة ، إذ لو لم يقصد من وراء هذا التعبير " جما " الكثرة الفائقة لما عبر بهذه الكلمة .ولفظ " جما " يحرسه الأخاذ وما يشتمل عليه من حرف الشدة في (الميم) ، يرسم شدة التكالب على المال وقوة الرغبة في تحصيله .و" الآيتان من

السجع المتوسط ليس بالطويل ولا بالقصير ، ويدخل تحت نوع يسمى بالتصريع " لأن جميع ما في إحدى القرينتين من الألفاظ مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية (٨٠)" .ويلاحظ التعبير بالفعل المضارع في الآيات الأربع السابقة في قوله :- " بل لا تكرمون " ، " ولا تحضون " ، " وتأكلون " ، " تحبون " للدلالة على أن هذه الأوصاف متجددة ومستمرة لهؤلاء .وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى : " تكرمون " ، و " تأكلون " ، و " تحبون " بالتاء ، وقرأها أبو عمرو كلها بالياء (٨١)" .وفي هاتين القراءتين إيجاز ، لأن قراءة " الياء " تجعل الضمير في الأفعال " يكرمون " ، " يأكلون " ، " يحبون " عائدا على الكافرين على سبيل الوعيد لهم.وقراءة " التاء " تجعل الضمير عائدا على المؤمنين المخاطبين والذين يحذرهم الله ﷻ أن يكونوا مثل الكافرين فيما ذكر وحكى عنهم . فقراءة الفعل بالياء مرة وبالتاء مرة أخرى ، أغنى عن أن يكون الكلام هكذا: كلا بل لا يكرمون ولا تكرمون اليتيم ، ويأكلون وتأكلون التراث ، ويحبون وتحبون المال . فالقراءتان معا تؤكدان أن الصفات التي وردت بالآيات الأربع صفات ذميمة لا ينبغى أن تكون في مسلم ، " فضلا عن الاعتبارات المعنوية المرتبطة بكل قراءة ، ففي قراءة " التاء " تحذير المؤمنين من مماثلة الكافرين فيما فعلوا ، وفي قراءة " الياء " وعيد للكافرين لانصراف الكلام إليهم .والفاصلة " جما " من فواصل المتوازى ، وذلك لاتفاقها مع فاصلة الآية التي قبلها " لما " في الوزن .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وبعد: فهذه أهم النتائج التوصيات التي توصلت لها في هذا البحث :

١. حب االمال شهوة ليست لذة ولا إرادة ولا محبة ولاهوى ، فتشتهي النفس المال بأنواعه، ولا يشترط له وجود لذة ولا محبة ولا إرادة ولا هوى ، ولذلك نبه القرآن الإنسان إلى ذلك .

٢. ابتدأ القرآن بذكر النساء أول الشهوات كون الشهوة بهن تفتح ما عداها

٣. علاج النفس من الإنغماس في الشهوات يكون بالقناعة ، وبالتقطن للأسباب التي توقد تلك الشهوة .

أما التوصيات فهي : دراسة التوأمة الأسلوبية بين الآيات التي ورد فيها لفظ المال والآيات التي ورد فيها الجهاد في سبيل الله بالأموال .

دراسة العلاقات الدلالية بين ألفاظ الفتنة والابتلاء في الحياة الدنيا في القرآن الكريم .

هوامش البحث

---

١ معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢١٣٩)

٢ منصور بن يونس بن صلاح الدّين بن حسن بن أحمد بن عليّ بن إدريس، أبو السّعادات البهوتيّ.،شيخ الحنابلة بمصر، وخاتمة علمائهم بها، الذّائع الصّيت، البالغ الشّهرة، وكان عالما، عاملا، ورعا، متبحّرا في العلوم الدّينيّة،انفرد في عصره بالفقه، وأخذ عن كثير من المتأخّرين من الحنابلة ، ومات يوم الجمعة عاشره من سنة ١٠٥١هـ. انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٣/ ١١٣٣)

٣ شرح منتهى الإرادات (٢/ ٧).

٤ رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له المعجم الأوسط (٧٤/٥)، وروى الترمذي قريبًا منه بإسناد حسن صحيح، وقال المنذري ي الترغيب إسناده صحيح (٢٩٨/٤)

٥ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٣٢٦)

٦ الوجيز للواحدي (ص: ٢٠١)

٧ الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٢٤)

٨ الطبرسي هو أبو علي، أمين الدين، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي.،مفسر لغوي وعالم من علماء الامامية.من كتبه مجمع البيان في تفسير القرآن وجوامع الجامع في التفسير أيضا.

٩ الارادة والشهوة في الكليات ٢: ١٠٥.والتعريفات: ١٣٥.

١٠ أخرجه ابن ماجه بسنده (عن يعلى العامري أنه قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فضمهما إليه، وقال: "إن الولد مبخلة مجبنة". قال في "الزوائد": إسناده صحيح، رجاله ثقات. "سنن ابن ماجه" كتاب الأدب، باب: بر الوالد والاحسان إلى البنات. وبهذا اللفظ ذكره السيوطي في "جمع الجوامع" وعزاه لابن ماجه وابن أبي شيبة والطبراني في "الكبير"، "جمع

الجوامع" في ١/ ل/٢١٦. وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، ولفظه: "أن الولد مبخلة مجهلة مجبنة" قال: رواه البزار ورجله ثقات. "مجمع الزوائد"، كتاب: البر والصلة باب ما جاء في الأولاد ٨/ ١٥٥.

١١ صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢/ ٤٦٧) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧١١)

١٢اللطائف والطب الروحاني. ص ٩٢.

١٣سورة آل عمران: ١٤.

١٤ – البحر المحيط (٥٠/٣)

١٥ – الكشاف (٤٤٢/١)

١٦ – آل عمران آية ١٣

١٧ – أبى السعود (٣٣٧/١)

١٨ – روح المعانى (٩٩/٧)

١٩ – في ظلال القرآن)٣٧٤/١)

٢٠ – حاشية الشهاب (٣١٢/٤)

٢١ – ابى السعود (٣٣٧/١)

٢٢ – الطراز (٣٢٣)

٢١. سورة الأنفال آية : ٢٨

٢٤ – الطراز(٣٣٣)

٢٥ – الفروق اللغوية (١٧٩)

٢٦ – الإيغال : أن ترد الآية بمعنى تام وتأتى الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى – الفاصلة القرآنية – أ.د/ عبد الفتاح لاشين ص ٤٢ .

٢٧ – أبى السعود (٥٩٨/٥) حاشية محى الدين شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (٣٥٧/٤)

٢٨ سورة الفتح آية : ١١

٢٩ – التفسير البلاغى للاستفهام (١٣٨/٤)

٣٠ – معانى التراكيب (١٩٩/١)

٣١ – تفسير أبى السعود (٥٨٩/٥)

٣٢ – مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغى (ص٣٥).

٣٣ – التفسير البلاغى للاستفهام (١٣٨/٤)

٣٤ – التفسير البلاغى للاستفهام (١٣٨/٤)

٣٥ – من بلاغة النظم د / بسيونى فيود (صـ ٢٣٢) .

٣٦ – أساليب النفي في القرآن د . أحمد ماهر البقرى (صـ)٢٨٨

٣٧ – الاشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (صـ ١٩٥).

٣٨ – التحرير والتنوير (١٣٨/٢٦)

٣٩ – السبعة في القراءات (صـ ٦٠٤)، التيسير في القراءات السبع (ص١٦٣ ، إتحاف فضلاء البشر (جـ ٢ / صـ ٤٨٢) .

٤٠ – مختار الصحاح (صـ ٣٧٩) .

٤١ – التفسير البلاغى للاستفهام جـ ٤ / صـ ١٣٩ .

٤٢ سورة المنافقون آية ٩

٤٣ – لغة المنافقين في القرآن د / عبد الفتاح لاشين جـ ١ / صـ ٨٠ .

٤٤ – تفسير التحرير والتنوير (٢٥٨/٢٨)

٤٥ – لمسات بيانيه في نصوص منص(١٨١).

٤٦ – لمسات بيانيه في نصوص من التنزيل (صـ ١٨١ .

٤٧ – لمسات بيانية في نصوص من التنزيل صـ ١٨٣ .

٤٨ – لمسات بيانيه في نصوص من التنزيل صـ ١٨٣ ، ١٨٤ .

٤٩ – في ظلال القرآن ١٦١٥/٣)

٥٠ – سورة التوبة: ٢٤.

٥١ – من أسرار التعبير في القرآن الفاصلة القرآنية د / عبد الفتاح لاشين صـ ٩٧ .

٥٢ – تفسير الفخر الرازى (٦٦١/٧)

٥٥– آل عمران آية ١٠٣

٥٤ – حاشية الشهاب (٥٢/٣)

٥٥ – الإعجاز البيانى في صيغ الألفاظ صـ ١٨١ .

٥٦ – التوجيه اللغوى والبلاغى بقراءة الإمام عاصم ، ص٢١٢

٥٧ – من أسرار التعبير في القرآن / حروف القرآن / د / عبد الفتاح لاشين صـ ٤٠ .

٥٨ – من أسرار التعبير في القرآن / صفاء الكلمة صـ ٢٠٦ – اين القيم وحسه البلاغى في تفسير القرآن صـ ١١١

٥٩ – لمسات بيانيه في نصوص من التنزيل ص(١٢٨)

٦٠ – ليس المراد الاختصاص الاصطلاحى وهو القصر .

٦١ سورة هود الآية ٢٩

٦٢ – لسان العرب ، (٣١/١)– المفردات صـ ١٠ .

٦٣ – الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مباينها وتنوعت معاينها(ص٧٢).

٦٤ – تاج العروس (١/ ٥) فصل الجيم من باب الهمزة مادة " جزاء ، المفردات صـ ٩٣ .

٦٥ – سورة العنكبوت آية ٢٧ .

٦٦ – سورة الإنسان آية ١٢ .

٦٧ – سورة الكهف آية ١٠٦ .

٦٨ – هود الآية ٢٧ .

٦٩ – الشعراء الآية ١١١ .

٧٠ – أبى السعود (٥٢/٣)

٧١ سورة الفجر من الآية ١٤ إلى الآية ٢٠

٧٢ – أبى السعود (٧٨٤/٥)

٧٣ – البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم .جزء عم

٧٤ – ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ الفجر آيه ١٦ .

٧٥ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٠/٥)

٧٦ – السبعة في القراءات (صـ ٦٨٥)، اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (٢٠٨٠/٢)المهذب في القراءات العشر صـ ٤٥٦

٧٧ – البحر المحيط (١/ ٤٧٥).

٧٨ – البلاغة القيمة للقرآن الكريم / ص(٩٥)

٧٩ – تفسير القرآن الكريم للعلامة الحليل السيد عبد الله شبر صـ٥٥٧ .

٨٠ – البلاغة القيمة لآيات القرآن صـ ٩٥ .

٨١ – السبعة في القراءات صـ٦٨٥ .